الآفاق
السنة الثالثة
الـ ١١٩
الإثنين ١٥ ربيع الأول ١٤٤٧ هـ.ق
٤ صفحات
Ofogh-e Hawzah Weekly
مركز إدارة الحوزات العلمية
المشرف: رضا رستمي
رئيس التحرير: علي رضا مكتب دار بمساعدة الهيئة التحريرية
هاتف: ٣٢٩٠٠٥٣٨ ٢٥ ٩٨+ • فاكس: ٣٢٩٠١٥٢٣ ٢٥ ٩٨+
ص. ب: ٣٧١٨٥/٤٣٨١
العنوان: قم، شارع جمهوري إسلامي، زقاق ٢، رقم ١٥
الموقع: www.ofoghhawzah.ir
البريد الالكتروني: info@ofoghhawzah.ir
تصميم: مرتضى حيدري آهنگري
مسئول الطبع: مصطفى اويسى • طباعة: صميم ٤٤٥٢٣٧٢٥ ٢١ ٩٨ +

ملاحظة

الأميّة في القرآن
بين الدلالة التاريخية والرسالية

■ د.ش حسين التميمي

يُعدّ القرآن الكريم المصدر الأسمى للمعرفة الإلهية، إذ حمل في ثناياه مفاهيم دقيقة ترتبط برسالة النبي محمدﷺ وشخصيته، ومن أبرز هذه المفاهيم وصفه بـ «النبي الأمي»، وهذا اللقب لم يكن مجرد إشارة عابرة، بل انطوى على دلالات معرفية وتاريخية وعقائدية عميقة، أثارت جدلاً واسعًا بين المفسّرين والباحثين قديمًا وحديثًا، فالأمية هنا لا تعني الجهل، بل تكشف عن بُعد إعجازي في الرسالة، إذ إنّ من لم يتعلّم على أيدي البشر جاء بكتاب أعجز الإنس والجن، ومن هذا المنطلق ينفتح الموضوع على دراسة علمية دقيقة لهذا المفهوم.

ورد وصف النبي الأكرم محمدﷺ في القرآن الكريم بلقب «النبي الأمي» في أكثر من موضع، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾ (الأعراف: ١٥٧)، وقوله سبحانه: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ﴾ (الأعراف: ١٥٨). وقد أثار هذا الوصف جدلاً واسعاً بين المفسرين والباحثين منذ صدر الإسلام وحتى اليوم، لأن الأمية تبدو لأول وهلة وصفاً يوحي بالحرمان من المعرفة، بينما شخصية النبيﷺ تمثل قمة المعرفة والوحي والعلم.

ومن هنا برز السؤال: ما المقصود من «الأمي»؟

وهل هو بمعنى الذي لا يعرف القراءة والكتابة، كما ذهب إليه جمهور المفسرين؟

أم أنه يحمل دلالات أخرى مرتبطة بالسياق التاريخي والحضاري والديني للأمة التي بُعث منها النبي؟

المعنى اللغوي للأمية يرتبط في أصله بكلمة «الأم»، أي الحالة الأولى التي يولد عليها الإنسان قبل أن يكتسب مهارة القراءة والكتابة، ومن هنا شاع أن الأمي هو الذي لا يقرأ ولا يكتب. غير أنّ القرآن الكريم استخدم الكلمة في مواضع أخرى بمعنى مختلف، كما في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ﴾ (آل عمران: ٢٠)، حيث أريد بالأميين العرب الذين لم يكونوا من أهل الكتاب. وهذا الاستعمال يفتح المجال لتوسيع الفهم بحيث يشمل المعنيين معاً: الأمية بمعنى عدم التعلم بالكتابة، والأمية بمعنى الانتماء إلى أمة لم يكن لها كتاب سماوي. وهنا تتضح طبيعة الغنى الدلالي للفظ القرآني.

وعند النظر إلى آراء العلماء المتأخرين من مدرسة أهل البيتعليهم السلام، نجد أن السيد أبو القاسم الخوئي قد تناول هذه القضية في إطار تفسيره، فرأى أن أمية النبيﷺ بالمعنى الشائع، أي عدم معرفته بالقراءة والكتابة، هي بحد ذاتها معجزة واضحة، لأنها تنفي أي احتمال أن يكون القرآن نتاج تعلم بشري. فصدور كتاب بليغ معجز، يتحدى البلغاء ويضع أسس التشريع، من رجل لم يدخل مدرسة ولم يقرأ كتاباً، يعد برهاناً قاطعاً على أن هذا الكتاب وحي إلهي، ومع ذلك لا يغفل الخوئي المعنى القرآني الآخر، وهو أنّ «الأميين» هم غير أهل الكتاب، ما يعني أن النبيﷺ أُرسل من أمة لم تكن متوارثة لكتاب سماوي، ليؤكد أصالة الرسالة وعدم اتصالها بتراث كتابي سابق، فالجمع بين المعنيين يعطي الصورة الكاملة للمفهوم القرآني.

وأما السيد محمد باقر الصدر فقد نظر إلى القضية من زاوية حضارية وفكرية أوسع، فهو يرى أن وصف الأمية لا ينبغي أن يُفهم مجرد وصف تقني يقتصر على عدم تعلم النبيﷺ للكتابة، بل هو عنوان لمرحلة حضارية كاملة. فقد شاء الله تعالى أن يبعث نبيه من أمة وبيئة أمية بالمعنى الثقافي العام، أمة لم تترك أثراً كتابياً ولم تعرف تقاليد التدوين والعلوم، لتكون الرسالة الخاتمة نقلة نوعية كبرى تنقل المجتمع من حالة الفراغ إلى بناء حضارة علمية وفكرية عظيمة. ومن هنا فإن الأمية ليست نقصاً بل قوة، لأنها تبرز قدرة الرسالة على صناعة الحضارة من العدم، وتؤكد أن هذا الوحي مستقل عن أي تراكم فكري سابق. كما يشير الصدر إلى أن النبي لو كان متعلماً على يد مدارس أو مطلعاً على كتب، لكان من الممكن أن يُقال إن القرآن مستقى من تلك المعارف، لكن الله أراد أن تكون الأمية حجة قاطعة على أصالة الوحي واستقلاله، بحيث لا يُرد إلى أي مصدر بشري أو ثقافي.

ومن الجدير بالذكر أن بعض المؤرخين ذكروا روايات تفيد بأن النبيﷺ ربما عرف شيئاً من الكتابة في أواخر حياته، خصوصاً في سياق تعامله مع الرسائل والعقود السياسية، ومن ذلك ما ورد عند محاولة كتابة كتاب يوم الخميس قبيل وفاته كما جاء في بعض النصوص الروائية. إلا أن هذه الروايات لا تنقض أصل الدلالة، لأن العبرة ليست بحدود تقنية ضيقة، بل بالمشهد العام الذي يظهر النبي غير متأثر بأي مصدر بشري مكتوب. وقد تعامل السيد الخوئي مع هذه الإشكالية باحتياط، فرأى أن معرفة جزئية لا تعني انتفاء الأمية بمفهومها الأصلي، بينما ركز السيد الصدر على أن القضية أكبر من ذلك، إذ أن جوهر المسألة هو الإعجاز الحضاري والتاريخي، لا التفاصيل الجزئية.

ومن هذا المنطلق، يمكن إعادة قراءة مفهوم النبي الأمي في ضوء حاجات الفكر المعاصر وفق مستويات متعددة. على المستوى الإعجازي، فإن الأمية تثبت أن القرآن معجزة إلهية، لأنه لا يمكن لعقل بشري غير متعلم أن يأتي بمثل هذا الكتاب، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٨).

وعلى المستوى الحضاري، فإن الأمية تعني الانطلاق من واقع ثقافي بسيط لبناء حضارة معرفية رائدة، وهو درس في أن التغيير الحضاري لا يتوقف على امتلاك تراكم سابق، بل على مشروع رسالي أصيل. وعلى المستوى الرسالي، فإن الأمية تمثل ضمانة لاستقلال الوحي عن أي مؤثر خارجي، فتؤكد أن ما جاء به النبيﷺ هو من عند الله خالصاً، أما على المستوى التربوي، فهي تحمل رسالة بأن المعرفة الحقيقية ليست رهينة القراءة والكتابة بقدر ما هي رهينة الارتباط بالله ونور الوحي.

وعند المقارنة بين الرؤيتين، يمكن القول إن السيد الخوئي ركز على البعد الإعجازي الفردي، أي أن النبي الأمي الذي لم يتعلم جاء بمعجزة كبرى هي القرآن، فيما ركز السيد الصدر على البعد الحضاري الرسالي، أي أن الأمة الأمية استطاعت أن تنهض بالوحي إلى مستوى قيادة البشرية. كلا الرؤيتين متكاملتان، لأنهما تبرزان أبعاداً متعددة للحقيقة نفسها: فالأمية دليل على صدق النبوة، وهي في الوقت نفسه قاعدة لانطلاقة حضارية كبرى.

وإنّ الوصف القرآني «النبي الأمي» ليس مجرد ملاحظة تاريخية عابرة، بل هو مفتاح لفهم طبيعة الرسالة الإسلامية الخاتمة. فهو من جهة برهان إعجازي على صدق النبوة، ومن جهة أخرى أساس لنظرية حضارية كبرى، تبرز كيف يمكن للوحي أن ينقل أمة من الجهل والفراغ الثقافي إلى الريادة العلمية والفكرية، وإذا كان العالم الحديث يربط الأمية بالجهل، فإن القرآن قلب هذا المفهوم ليجعله عنواناً للإعجاز، بحيث تصبح الأمية في حياة النبيﷺ ليست حرماناً من العلم، بل طريقاً لظهور أرقى أشكال العلم الرباني، وهنا يظهر عمق المفهوم القرآني الذي لا يقف عند حدود المعنى اللغوي، بل يتسع ليستوعب البعد التاريخي والرسالي والحضاري في آن واحد.

مذكّرة

نظرات تساوي الألماس!

■ رئيس التحرير

في خضم بحثنا عن المعادن والأحجار الكريمة، نجد أن الألماس هو الأثمن بينها جميعًا. وكذلك، بين أعضاء جسم الإنسان، للعين مكانة خاصة، حتى أنه إذا كان لشخص ما مكانة عظيمة عندنا، نعتبره "عيننا" أو "نجلسه فوق أعيننا".

هذه العين، مع ما لها من قيمة ومنزلة، إذا وجّهت نحو شيء ثمين، فإنها تضيف إلى ذلك الشيء قيمة تفوق قيمة الألماس، وتصبح قيمتها مضاعفة أضعافًا كثيرة. (وكذلك إذا وجّهت إلى ما لا يرضي الله تعالى، أو إلى ما هو غير لائق، فإنها تصبح بلا قيمة، بل تكون ضد القيمة. عندئذ يكون التراب أثمن من تلك النظرة. وفي هذا المقال سنتناول موضوع النظرة من الزاوية الأولى، أي النظرة التي يمكن أن تكون في غاية القيمة).

في منطق الدين، هناك بعض النظرات تشبه الألماس، أي أن قيمتها تفوق تصوّر البشر. هذه النظرات تنطوي في ذاتها على معرفة وإدراك، أو تنتج وتستلزم نوعًا من المعرفة لصاحبها. وهذه النظرات تنبع من إدراك رفيع، كما أنها تهيئ الأرضية لمعرفته الأسمى. وبالطبع، الجانب المعرفي لهذه النظرات ليس محل بحثنا الآن، إذ يحتاج إلى بحث مفصل في موضعه الخاص. ما يمكننا الحديث عنه هنا هو أن بعض النظرات، بحسب الروايات الواردة عن المعصومينعليهم السلام، هي نظرات مميزة؛ فالإنسان بهذه العين نفسها التي قد يستخدمها في نظرات سلبية وضارة، يمكنه أن يوجه نظرات ثمينة كالألماس. النظر إلى ولي الله، النظر إلى الكعبة، النظر إلى القرآن، النظر إلى العالم، النظر إلى الوالدين، النظر إلى المؤمن، والنظر إلى الزوجة والأبناء والأصدقاء؛ كل واحدة من هذه النظرات ترفع من قيمة نظر الإنسان وتقرّبه أكثر فأكثر إلى مقام القرب الإلهي.

سرّ قيمة بعض النظرات

ولكن ما هو سر قيمة هذه النظرات؟ إذا أمعنا النظر جيدًا، سندرك أن قيمة النظرة، بالإضافة إلى قيمة من ينظر إليه، تكمن في النتيجة والثمرة التي يجنيها الناظر من تلك النظرة. فمثلاً، إذا نظر الإنسان إلى أشياء تلهيه عن ذاته وتشغله عن ذكر الله وتفكيره، فإن ذلك سيمنعه من النمو والكمال وتطوير شخصيته. فعلى سبيل المثال، النظر إلى ثروة الأغنياء وأصحاب الدنيا يورث الحسرة والحزن في قلب الناظر، ويشتت فكره، وربما يدفعه إلى جمع المال والثروة. أو أن النظر إلى الأجنبي/الأجنبية مثل سهم يطلقه الشيطان نحو قلب المؤمن، فيظل ذلك القلب هدفًا له باستمرار، وبهذا يفتح الشيطان طريقه إلى قلب الناظر حتى لا يبقى فيه موضع للمحبوب الحقيقي. وكما قال عليعليه السلام: "العيون طلائع القلوب"، فإلى أينما توجهت العيون، تتبعها القلوب، لذا ينبغي توجيه النظر نحو ما ينير القلب والروح لا ما يظلمهما.

وقد أشارت الأحاديث الشريفة إلى بعض هذه النظرات الماسية، وسنذكرها فيما يلي:

١. النظر إلى وجه العالم

العلماء الصادقون، لما لهم من دور هادٍ في حياة البشر وهدايتهم إلى السعادة والخير، لهم دائمًا مكانة سامية في نظر الإسلام. الأنس بمجالستهم يهيئ للأشخاص التعرف على حقائق الدين ويهديهم إلى منابع الحقائق، لذا فإن النظر بمحبة إلى وجوههم الملكوتية يعد عبادة. قال النبيﷺ: "النظر إلى وجه العالم عبادة". كما قالﷺ: "... والنّظر إلى وجْه الْعالم خيْرٌ لك منْ عتْق ألْف رقبةٍ" هؤلاء العلماء يذكرون الناظر بيوم القيامة، وإن لم يكن كذلك فإن النظر إليهم لا يجلب إلا الفتنة.

٢. النظر إلى المصحف الشريف

القرآن كتاب هداية، وهو آخر ميراث تركه الأنبياء للبشرية، ولم يحرّف أبدًا، وهذه الحماية من التحريف– فضلاً عن كونها معجزة إلهية– هي ثمرة اهتمام النبيﷺ بترسيخ الألفة مع القرآن الكريم، حتى أن مجرد النظر إلى القرآن دون تلاوته عدّ عبادة. قالعليه السلام: "النظر في المصحف من غير قراءة عبادة". قال الراوي: "سألْت الصّادقعليه السلام فقلْت له جعلْت فداك إنّي أحْفظ الْقرْآن على ظهْر قلْبي أ فأقْرؤه على ظهْر قلْبي أمْ أنْظر في الْمصْحف فأقْرأ منْه قال فقال لي بلْ اقْرأْه و انْظرْ في الْمصْحف فهو أفْضل أ ما علمْت أنّ النّظر في الْمصْحف عبادةٌ."

٣. النظر إلى وجه الوالدين

جعل القرآن الكريم للوالدين مكانة عالية وأمر بالإحسان إليهما بعد النهي عن الشرك. وهذه المكانة لما لهما من دور في تربية المؤمنين. ولهذا قال النبيﷺ: "ما ولدٌ بارٌّ نظر الى ابويْه برحْمةٍ الاّ كان له بكلّ نظْرةٍ حجّةٌ مبْرورةٌ فقالوا: يا رسول اللّه وانْ نظر فى كلّ يوْمٍ مائة نظْرةٍ؟ قال: نعمْ اللّه اكْبر واطْيب." وكما أن النظر بمحبة للوالدين عبادة، فإن النظر إليهما بعين الغضب والمعصية، كما قال الإمام الصادقعليه السلام، يعد عقوقًا ويمنع قبول الصلاة، ولو كان ذلك بسبب ظلم الوالدين للولد. "منْ نظر الى ابويْه نظر ماقتٍ، وهما ظالمان له، لمْ يقْبل اللّه له صلاةً."

٤. النظر بمحبة من الوالدين إلى الأبناء

التربية الصحيحة تنمو في ظل روابط عاطفية متينة بين الوالدين والأبناء، وهذه الروابط تزداد قوة بنظرة المحبة من الوالدين إلى أبنائهم، ولهذا عدّ النبيﷺ نظر الأب إلى ابنه بمحبة عبادة وقال: "اذا نظر الْوالد الى ولده فسرّه كان للْوالد عتْق نسمةٍ! قيْل: يارسول اللّه وانْ نظر ستّين وثلاثمائة نظْرةً؟ قال: اللّه اكْبر."

٥. النظر إلى وجه المؤمن

الإيمان بالله يربط المؤمنين ببعضهم، وكلما ازدادت روابط المحبة بينهم، ترسخت جذور الإيمان في نفوسهم ومجتمعهم. ولهذا أكد الإسلام على النظر بمحبة بين المؤمنين واعتبره عبادة. قال الإمام زين العابدين: "نظر المؤمن فى وجه أخيه المؤمن للمودّة و المحبّة له عبادةٌ".

شعر وقصيدة

قصيدة في المولد النبوي الشريف

يلادُ طه أكرم الأعياد
وبشير كل الخير والإسعاد
يا أفضلَ الرسلِ الكرام جميعهم
أنت الشفيعُ لنا لِيومِ معادِ
فضياكَ عمَّ المشرقين بنوره
منذ استنار الكَونُ بالميلادِ
بِجِراءَ حقاً كنت تخلو عابداً
ربّاً كريماً واسعَ الإمداد
وأتاك جِبريلُ الأمينُ مبلغاً
قرآنَ ربِّك داعياً لرشاد
وإلى رحابِ القُدسِ سِرتَ مُكَرَّماً
وعَرَجت يصحَبُك دليلُ الهادي
صلى عليك الله يا خيرَ الورى
ما سبَّحَ المولى الحمامُ الشادي
وتركتَ مكةَ للمدينةِ رافعاً
عَلَمَ الهدايةِ والتُّقى وسداد
وفتحتَ مكةَ ما أسأتَ مُسيئَها
وعفوتَ عمَّن حاربوا بعنادِ
حَرَّرتَ كلَّ العالمينَ من الرَّدَى
ومن الضَّلالِ وذُلِّ الاستعبادِ

نصيحة نفسية

النهايات ليست خسارة، بل بداية جديدة

تذكّر دائمًا أن النهايات جزء طبيعي من حياتنا، وليست علامة فشل أو خسارة. عندما يغادر أشخاص من حياتك أو تنتهي مرحلة اعتدت عليها، فهذا لا يعني أنك فقدت قيمتك أو أنك وحدك، بل يعني أنك تتطور وتنتقل إلى مستوى أنسب لك.

الحياة لا تأخذ منك شيئًا إلا لتمنحك ما هو أجمل، حتى لو لم تدرك ذلك في اللحظة نفسها. حاول أن ترى كل نهاية كباب يُفتح نحو تجربة جديدة، وكفرصة لإعادة اكتشاف نفسك وما تستحقه فعلًا.

ثق أن ما يحدث في طريقك ليس عشوائيًا، بل هو جزء من رحلة نضجك الداخلي. اسمح لنفسك أن تتقبل التغيير بهدوء، وذكّر نفسك أن القادم قد يحمل لك ما لم تكن تتوقعه، لكنك كنت تحتاجه منذ وقت طويل.

نرحب بآراء القراء الأعزاء
عبر البريد الالكتروني التالي
Alafagh1444
@gmail.com